الآداب العربية
في القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الفصل الأوّل

الآداب العربيّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

جرينا شوطاً اوّل في عدّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدّةً ريثما نجمع قوانا فنواصل الجري في هذا الميدان وهو لعمري مجال جديد يتسع امامنا فتتوفّر ركبانهُ وتشتدّ فتفوت الاحصاء فرسانهُ. ولولا ثقتنا بلطف القرّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكففنا القلم وارقفنا اليراع لئلّا يشرد بنا عن سواء السبيل. فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكرهِ ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام. ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيّة فانّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنَتها فانّ دويّ الحرب السبعينيّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادت عليها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدّاً لخللهم ومنجاةً من خمولهم. وكان السلام سائداً والامن متوطداً في الممالك المحروسة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لا سيما سوريّة ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد مدّت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمّها الاعظم الترقي في معارج التمدن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيه رأى ارباب الدين الشرقيون ترقي اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف. وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذه البلاد فأخذوا يجدّون ويسعون بما عُرفوا به من طو الهمم ليبثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف. وكذلك المرسلون الاميركان فانهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبان بذور المعارف والعلوم المستجدّة. ويا حبّذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتّخذوا العلم وسيلةً لتقويض المبادئ الصحيحة ومناواة الدين القويم

ومما خُصّ به هذا الطور الذي نحن في صدده انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصُّها الكليّة الاميركيّة التي خرجت في ذلك الوقت من قماطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور فان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميّة قدوةً بالشيخ الطهطاوي بمصر ففتحت ترجمتها باباً جديداً طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريّة. وكانت المطبعة الاميركيّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهداً طويلاً كاساس التعليم في الكليّة الاميركيّة وبعض المدارس الوطنيّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرّت عمدة المدرسة الاميركيّة الى استئناف التدريس باللغة الإنكليزيّة

وكان النجاح الذي فاز به اصحاب الكليّة الاميركيّة باعثاً للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء ملتهم من الاضاليل البروتستانيّة. وكان اليسوعيون اوّل من تحفّز لمناهضتهم فعزّزوا مدارسهم الثانويّة في غزير وبيروت وصيداء ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليّة في بيروت تباري كليّة الاميركان وتقدّم لابناء الشرق مناهل العلوم صافيةً من كل رنق يكدّرها. فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيّدت ابنية كليتنا الكاثوليكيّة ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٤ فنالت من كرم الكرسيّ الرسوليّ كل انعامات الكليّات بمنح شهادات العلوم الدينيّة لمستحقيها كما انّ الدولة الفرنسويّة اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيّون جريدتهم البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيّة فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حيناً بعد حين. وها قد مرّ عليها اليوم ٣٨

سنة وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكيَّة باسرهم

وفي هذه المدَّة ايضاً ترقَّت المطبعة الكاثوليكيَّة بهمَّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلَّف عن المطبعة الاميركيَّة في شيء فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهَّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانه الطيب الذكر الاخ الياس ماري الى عواصم اوربَّة ليدرس فنّ الطباعة على احذق الطبَّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيَّة في مطبعتنا ومطابع البلدة. وكذلك تعلَّم غيره من رهباننا فنّ الحفر وسبك الحروف واصطناع امهاتها فاغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربيَّة والسريانيَّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيَّة والعلميَّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفًا واتقنها طبعاً الكتاب المقدس في ثلاثة مجلَّدات مزيناً بالتصاوير والنقوش وكان الآباء المرسلون لم يدَّخروا وسعاً في تعريبه عن اللغتين الاصليَّتين العبرانيَّة واليونانية ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيَّة يعتنون بالكتب المدرسيَّة وكانت قبلهم عزيزة جدًّا لا يصل اليها الاحداث الَّا بعد شقّ النفس فتوفَّرت الكتب التعليميَّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقيًا ونجاحاً

وكانت بثيَّة الرسالات اللاتينية تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فالاعازريون كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة. وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانويَّة في حلب علَّموا فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقيَّة في هذه الحلبة. فانهُ تعيَّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيّب الذكر طوبيًّا عون احد رجال العلم والعمل السيّد المبرور يوسف الدبس فافرغ الوسع في ترقية ابناء رعيته في معارج التمدُّن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٤ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمت فروعها وبسقت اغصانها وينعت ثمارها الى يومنا هذا وكثير من المتخرجين فيها يتقلَّدون الآن المناصب الجليلة ويخدمون وطنهم بنشاط عظيم. ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطاق الآداب مطبعتهُ العموميَّة الكاثوليكيَّة التي

اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق‌الله خضرا فنشر فيها مجموعاً واسعاً من المطبوعات الدينيَّة والاديبيَّة والمدرسيَّة منها قسم كبير من قلمه

وفي هذه المدة ثبت قدم جمعيَّة المرسلين اللبنانيين التي أسسها المطران يوحنَّا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عدداً وفضلاً بهمَّة منشئها الفاضل

لما الروم الكاثوليك فانَّ مدوستهم البطريركيَّة بلغت في هذه الآونة اوج عزّها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها. وكان جلّ اهتمامها اتقان اللغة العربيَّة بفروعها. وعُني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أخرى لابناء طائفته في دمشق فسلّم ادارتها لكهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديدة كالطبعيَّة السليميَّة لسليم افندي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثدكس ومطبعة جمعيَّة الفنون. وقد ظهرت في كل هذه المطابع تآليف متعدّدة نشرنا في المشرق اسماءها. وكذلك الجرائد والمجلّات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق المراقبة. والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَضُ عليها الَّا اذا خرجت عن طورها وتعدَّت حدودها. وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلم بطرس البستاني وعهد بتحريرها الى ابنهِ سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيَّة وهي الجنَّة والثانية يوميَّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطل مدَّتها. اما الأوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة البستانيَّة شهرة بفضلها. وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القبَّاني فخدمت مصالح الأمة الاسلاميَّة بلا ملل الى عامنا الحاضر. وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين ابكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة ينشرون مجلَّة علميَّة صناعية زراعية دعوها المقتطف واودعوها كثيراً من المقالات العلميَّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطَّتهم الحرَّة الى هذه السنة وهي الثالثة والثلاثون من اوَّل ظهورها. وفي هذه المجلة من المنافع ما لا يُنكر لولا انَّ كتبتها صوَّبوا غير مرَّة سهامهم للتعاليم الدينيَّة والفلسفيَّة ونسبوا الى العلم ما هو بريء منهُ كما بيَّنَّا لهم الامر احيانا عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

امَّا في بلاد الشرق خارجاً عن الشام فانَّ الآداب العربيَّة فيها لم تَخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقُّ الذكر. وانَّما كانت المطابع المصريَّة وخصوصاً مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبَّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها. وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرَّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسماً حسناً من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنَّفات الثعالبي. ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل فانهُ نشر هناك فضلاً عن الكتب الدينية عدَّة تآليف حسنة عزَّزت في القلوب محبة الآثار العربيَّة

وفي هذا الطور أصيبت الآداب العربية ببعض التأخر في الاصقاع الاوربية لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تَدُمْ مدَّةً طويلة لانَّ الامور بعد زمنٍ اخذت في السكون والهدو وعاد العلماء الى دروسهم بل اتَّسع نطاقها فامتدَّت في المانية وانكلترَّة وأُنشئت كليات جديدة كان للغة العربية فيها الحظة المشكورة. وقد أُنشئت جمعيَّات شرقية في ايطالية والنمسة بعثت همم اهلها على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الاوربية تغني كل يوم لغتنا بمطبوعات يخرجها المستشرقون من دفائنها ويحيونها بعد موتها نخصّ منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيراً من اجود تآليف قدماء العرب

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأناً عند النصارى منها عند المسلمين وانَّما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبية من شعر ونثر وخلَّفوا منها آثاراً طيِّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهاً بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاوي) كان رفاعة بك من اشراف طهطا من مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء. ولما وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اخنى على اسرته فذاق في حداثته مرائر العيش ثم انتقل بعد وفاة والده الى القاهرة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واحبَّهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدَّموهُ. ولما خبرهُ المرحوم محمد علي باشا امام الدولة الخديويَّة

فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغة الفرنسويّة حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسيًّا وسمهُ « بقلاند الفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » فكان ذلك داعياً لترقيهِ في الاعمال تقلّده محمد علي وظيفة الترجمة في المكتب الطبّي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عدّة تآليف افرنجيّة مستحدثة ثم عرّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيّة وغيرها. وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الاجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاهُ الخديوي بمنحهِ رتبة قائمقام ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مدّةً الى الخرطوم لنظارة مدرستها وتولّى نظارة المدرسة الحربية في مصر. ولم يزل يتقلّب في المناصب وادارة المدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة. وهو الذي باشر انشاء اوّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) . وتولّى في آخر حياتهِ ادارة جريدة روضة المدارس. ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضها من تأليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومناهج الالباب المصرية وكتاب تاريخ مصر الحديث واكثرها من ترجمتهِ كجغرافية ملطبرون واخبار تليماك وهندسة ساسير ورسائل طبيّة ولهُ غير ذلك من التآليف والمقالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمة كتبهِ الّا انهُ سبق اهل وطنهِ بتعريب التآليف الغربية فنال فضلًا بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها:

ألا ما لطرف المجد دامٍ ودامعُ على وجنة الايام عامٍ ولامعُ

الى ان قال مشيرًا الى فهمي افندي نجل المتوفّى:

وكادت تميدُ الارضُ لو لم يكن بها لهُ خلفٌ يجبي المآثر بارعُ

(عبد الغفّار الاخرس) هو السيد عبد الغفار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق. كان مولده في الموصل بعد السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمّ نشأ في بغداد واتخذها موطناً وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الالوسي كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازة ثمّ درس العلوم العقليّة والفنون العربيّة فاتقنها وتعاطى فنّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب الملك الاذفر قال عنهُ انّ اليهِ كانت النهاية في

دقة الشعر ولطافته وحلاوته وعذوبته. وكان مع ذلك في لسانه تلعثم وثقل فدُعي بالاخرس لسببه. قيل انهُ في شبابه كتب الى داود باشا والي العراق ابياتاً يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانه قائلاً:

انَّ اياديك منك سابقةٌ ... عليَّ قدماً في سالف الحُقُبِ
هذا لساني يعوقهُ ثقلٌ ... وذاك مندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسببتَ في معالجتي ... لَنلتَ اجراً بذلك السببِ
وليس لي حرفةٌ سوى ادبٍ ... جمٌ ونظم القريض والخطبِ
من بعد داودَ لا حُرمتُ منّي ... نفلت قد مضت دولةُ الادبِ

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ: انا اعالج لسانك بدواء امّا ان ينطلق وامّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود. فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال: لا ابيع كلّي ببعضي. وكرّ راجعاً الى بغداد. وكان يتردّد الى البصرة لما عرف في اهلها من السخاء ومحبة الغرباء ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانهِ وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي. وكان لهُ شعر كثير متفرق جمعهُ احمد عزّت باشا العمري بعد وفاة صاحبهِ وقد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م). فمن شعره قولهُ يصف سفره من البصرة الى بغداد على سفينة بخارية:

قد ركبنا بمركب الدخانِ ... وبلغنا به اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت ... فهي مثل الافلاك بالدورانِ
ثمَّ سرنا والطير يحدنا بالامس لأسراعنا على الطيرانِ
يخفق البحر رهبةً حين يجري ... والذي فيهِ كائنٌ في أمانِ
كلّما ابعد البخارُ بمرى ... قرّب السيرُ بُعْدَ كلّ مكانِ
أتقنت صُنعَهُ فطانةُ قومٍ ... وصفوهم بدقّة الاذهانِ
ما اراها بالفكر الّا اناساً ... بَقيت من بقيّة اليونانِ
ابرزوا بالعقول كل عجيبٍ ... ما وجدناهُ في قديم الزمانِ
وبنوا للعلى مبانيَ علياً ... عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الزمانِ علمٌ وفخرٌ ... ومقامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح عبد الباقي افندي الفاروقي. ورثاه بعد موتهِ بقصيدة اوّلها:

١) وفي الاصل: فهموا وهو تصحيف. وكذلك قد تصحّف البيت الخامس فاصلحناه

مالي اودّع كل يوم صاحباً اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ
وأصارم الاحبابَ لا من جفوةٍ مني ولا متعرّضاً لشقاقِ
فارقتُهم ومدامعي منهلّةٌ وجوانحي للبين في احراقِ

الى ان قال:

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً واجلّها فضلاً على الاطلاقِ
وفقدتُ مستنَدَ الرجال اذا روت عنهُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجعي وشرعةُ منهلي ومناطُ فخري وارتياد نباقي
كانت لهُ الايدي بطوّقني بما منّاً هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقوله:

رزءٌ أُصيب به العراق فأرّخوا رزء العراق بموت عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعاً بعض الكرام اسمهُ يوسف:

مولاي قد حان الوداع وقد عزمتُ على المسيرِ
كم زرتُ حضرتك التي ما زالتُ منها في حبورِ
ورجعت عنك بنائلٍ غمرٍ وبالخَير الكثيرِ
والله يعلمُ انني عن شكر فضلك في قصورِ
يا مفرداً في عصره بالفضل معدومَ النظيرِ
يا يوسفَ البدر الذي يسمو على البدر المنيرِ
ما لي بغيرك حاجةٌ كفنى الحقير عن الحقيرِ
وسواك يا مولاي لا واللهِ يخطرُ في ضميري
ما كل وردٍ ينو زُ بمورد العذب النميرِ
لا زلتَ املاً للجميـ ـل مدى الليالي والشهورِ

ومما لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائرٍ:

ألا قطع الرحمٰن كلّ مقاطعٍ مشيرٍ بما يقضي بهِ غير نافعِ
وقاضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعٍ وقاضٍ يجور ما لهُ من مُضارعِ
على انهُ بالسيفِ اقطعُ من ماضِ
فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ وقد راح في غيّ لهُ وضلايةٍ
فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ قضى ومضى لكن الى كلّ غايةٍ
من الخزي لا يحظى بها ابداً قاضِ
بُلينا بقاضٍ جائرٍ غير عادلٍ يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلِ
ومن اعظم البلوى بلاه بجاهلٍ يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلِ
وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(الحاج عمر الانسي) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويها والعراق باخرسها كانت بيروت تأنس بانسيها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبها بالصقعان. وُلد الانسي سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) في بيروت واخذ العلوم من الشيخين محمد الحوت وعبد الله خالد وقد قلدتهُ الحكومة السنيَّة عدَّة مناصب كنظارة النفوس في لبنان وعضويَّة مجلس ادارة بيروت ومديريَّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلَّب فيها كلها واظهر فيها درايةً وعفَّة نفس وعلوّ همَّة. وكانت وفاته في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م). وقد وصفهُ مَن عرفهُ بحسن المشر وانس الحضر والصدق والاستقامة. وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنَّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) بهمَّة نجلهِ السيد عبد الرحمن افندي. وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات. ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ:

واذا اردتَ قصيدةً نبَه لها عُمَرًا وقُمْ
الشاعرُ العربيّ ذو السحرِ الذي سَبَتِ العَجَمْ
في المكرمات لهُ يدٌ والى الصواب لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأنها صيدُ الحَرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر. قال في التقى:

عليكَ بتقوى الله والصدقِ انها نجاةُ الفتى يا صاح بالصدقِ والتُّقى
وقسْ حال ابناء الزمان ببعضهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد:

رغبتُ عن الدنيا وزُخرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انما العيشُ في الأخرى
فدعني وزهدي في الحُطامِ فانني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحة الكبرى

ومن ظريف هجوهِ ما قالهُ في غلام قهوجيّ يُدعى هلالًا:

تسمَّ الهلالُ القهوجيّ لأنهُ قد قطَّعَ الانفاسَ من انفاسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العما في راسهِ

وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ:

شكا ثِقل الذنوب لنا ثقيلٌ فقلتُ لهُ اسمعْ لبديع قولي
ثلاث بالتناسب فيك خُصَّت فلم توجد بغيرك من مثيلِ
ذنوبك مثل روحك ضمن جسمٍ ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيلِ

ومن رثائه قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١ من ابيات:

فقدنا اديباً كان طرس يراعهِ ... اذا خطَّ سطراً نال من خطِّهِ شطرا
اخا شيمٍ قد اعجزتْ عن مديحها ... لساني فاسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعماً ... بانَّ الثرى من احيثي يحجبُ البدرا ...
فكم لك في الاداب لطفُ شمائلٍ ... اذا ما نشرنا ذكرها نفحت نشرا
وكم لك من ابيات شعر حريةٍ ... جا أن تُحاكي جيدَها النادةُ العذرا
ألا يا بني النقَّاش لا يحزنَّكم ... بكاً وسَع الاجفان او ضيَّق الصدرا
أرى الدهر لما قسَّم الحزنَ خصَّنا ... بتسعة اعشارٍ وحصَّكم عشرا ...
فآسف لو كان التأسُّف نافعاً ... عليهِ ولكنَّ الفناء لهُ احرى (لهُ بقية)

حيَّة فوق سرير

تعريب احد طلبة كليتنا

قرأنا في مجلَّة افرنسيَّة الخبر الآتي بقلم رحَّالة افرنسي يدعى هنري كوسان دخل الهند في السنة ١٨٨٩ وتجوَّل فيها مدَّة مع قرينتهِ مرغريت وولديه جورج وعمرهُ سبع سنين وحنَّة التي لم يتجاوز سنُّها تسعة اشهر

قال وصلنا بعد سفر طويل الى مدراس ثمَّ توغلنا في البلاد الداخليَّة حتى بلغنا قرية تدعى متاني يسكنها الهنود وفيها المزارع والغابات وكان السفر قد انهك قوانا فطلبت اليَّ امرأتي مرغريت أن نقضي هناك اسبوعاً لتشتدَّ قوانا فنواصل بعدها طريقنا. فاستحسنتُ رأيها ودخلنا بستاناً فطلبنا من صاحبهِ ان يفرد لنا قسماً من بيتهِ نأوي اليهِ أياماً وندفع لهُ اجرتهُ فعرض علينا بيتاً صغيراً مجاوراً لبستانهِ تكتنفهُ حديقة فيها كثير من اشجار الهند الباسقة ورضي بان نبيت فيهِ ما شئنا لا يزعجنا في المكان غريب. فقبلنا بالسكنى واحتللنا الدار

فبتنا هناك ثلاثة ايَّام في العزلة والانفراد لكنَّا كنَّا نسمع اصوات الهنود المزعجة فنظنُّ أنهم يريدون لنا سوءاً فنبقى في حذر منهم. ومع خوفنا من اذاهم كنَّا متمتعين بسعادة ناتجة عن السكينة وجودة الصحة مع سهولة حصولنا في الحديقة على ما يسدُّ احتياجنا للمعاش من بقول وخضر واثمار جنيَّة. وكنا نقضي ساعات النهار في الحديقة